الرسالة

(عب ٧: ٢٦–٢٨؛
٨: ١–٢)

يا إخوةُ إنَّا يُلائِمنا رئيسُ كهنةٍ مثلُ هذا بارٌّ بلا شرٍّ ولا دَنَسٍ مُتَنزِّهٌ عن الخطأةِ قد صار أعلى من السموات* لا حاجةَ له أن يُقرِّبَ كلَّ يومٍ مثلَ رؤساءِ الكهنةِ ذبائحَ عن خطاياهُ أولاً ثمَّ عن خطايا الشعب. لأنَّه قضى هذا مرَّةً واحدةً حينَ قرَّبَ نفسَهُ* فإنَّ الناموسَ يُقيمُ أُناساً بِهمِ الضُّعفُ رؤساءَ كهنةٍ. أمَّا كلمةُ القَسَم التي بعدَ الناموسِ فتُقيمُ الإبنَ مكمَّلًا إلى الأبد* ورأسُ الكلام هو أنَّ لنا رئيس كهنةٍ مثلَ هذا قد جلسَ عن يمينِ عرشِ الجلال في السموات* وهو خادِمُ الأقداسِ والمسكِنِ الحقيقيِّ الذي نَصَبهُ الربُّ لا إنسانٌ.

الكهنوت

بمناسبة عيد القديس يوحنا الذهبي الفم وضعت لنا كنيستنا المقدّسة اليوم هذا المقطع من الرسائل (عب ٧: ٢٦ إلى ٨: ٢) الذي يُتلى عادةً في أعياد رؤساء الكهنة. الهدف منه التذكير بأنّ رئيس الكهنة هو على صورة الربّ يسوع لا على صورة الكهنوت اللاويّ المذكور في العهد القديم.

لم يعد هناك، في الكنيسة، كهنوتٌ على مثال كهنوت العهد القديم، الذي يشبه كهنوت الديانات الأُخرى، بل حلّت مكانه رتبة «الأسقف». كلمة «أسقف» اليونانيّة (episkopos) تعني «الذي ينظر من العلاء»، أي الذي يشرف على الرعيّة التي أقامه الله فيها ليرعاها، تلك التي اقتناها الله بدمه (أع ٢٠: ٢٨). كان الشيوخ والشمامسة يعاونون الأسقف في خدمة الرعيّة. يشير الرسول بولس إلى صفات كلٍّ من الأسقف والشمّاس في رسالته الأولى إلى تيموثاوس (١تي ٣: ٢–١٢)، كما يتكلّم، في رسالته إلى تيطس، على صفات الأسقف فقط (تي١: ٧–٩): «يجب أن يكون الأسقف بلا لوم، بعلَ امرأةٍ واحدة، صاحيًا، عاقلًا، محتشمًا، مضيفًا للغرباء، صالحا للتعليم، غيَر مدمن الخمر، ولا ضرّابٍ، ولا طامعٍ بالربح القبيح، بل حليمًا، غير مخاصم، ولا محبٍّ للمال، يدير بيته حسنًا، له أولادٌ في الخضوع بكلّ وقار... غير حديث الإيمان ... ويجب أيضًا أن تكون له شهادةٌ حسنةٌ من الذين هم من خارج لئلاّ يسقط في تعييرٍ وفخّ إبليس. كذلك يجب أن يكون الشمامسة ذوي وقارٍ لا ذوي لسانَين، غير مولعين بالخمر الكثير، ولا طامعين بالربح القبيح، ولهم سرّ الإيمان بضمير طاهر» (١تي ٣: ٢–٩).

العدد ٢٠١٩/٤

الأحد ٢٧ كانون الثاني

تذكار نقل رفات أبينا الجليل في القديسين يوحنا الذهبي الفم

اللحن الثاني

إنجيل السَحَر الثاني

اعتُبر الأسقف صورة المسيح، ولا يمكن أن يُقام أيّ سرّ من أسرار الكنيسة من دونه، أو من دون مَن ينتدبه هو. كما أنّه حيث يكون الأسقف هناك يجب أن تكون الرعيّة، مثلما حيث يكون المسيح هناك تكون الكنيسة الجامعة (رسالة القدّيس إغناطيوس الأنطاكي إلى أهل إزمير). كهنوت الأسقف هو من كهنوت الربّ يسوع، وليس مستقلاً بذاته، وما يقوم به الأسقف كأنّ

المسيح يقوم به، ولنا مثال على ذلك في إفشين الشيروبيكون الذي يتلوه الأسقف، متوجّهًا نحو الربّ يسوع: «لأنّك أنت المقرِّبُ والمقرَّبُ أيّها المسيح إلهنا، ولك نرسل المجد مع أبيك وروحك القدّوس». عندما يقرّب الأسقف القرابين، يكون الربّ يسوع هو مَن يقرّبها، أي يقرّب ذاته. هذا ما يعلّمنا إيّاه الرسول بولس في المقطع الذي تُلِيَ على مسامعنا: «لأنّه فعل (أي المسيح) هذا مرّة واحدة إذ قدّم نفسه» (عب ٧: ٢٧). نلاحظ في الإنجيل بحسب يوحنّا أنّه عندما يقوم تلاميذ الربّ بتعميد الناس يكون الربّ يسوع هو مَن يفعل ذلك: «فلمّا علم الربّ أنّ الفرّيسيّين سمعوا أنّ يسوع يصيّر ويعمّد تلاميذ أكثر من يوحنا، مع أنّ يسوع نفسه لم يكن يعمّد بل تلاميذه، ترك اليهوديّة ومضى أيضًا إلى الجليل» (يو ٤: ١-٢). أضف إلى أنّ اللّيتورجيا نفسها تشير إلى ذلك، إذ يستخدم الأسقف، في كلّ الأسرار، صيغة «المجهول الإلهيّ» عندما يتمّم السرّ: «يُعمّد عبد الله»، «يُمسحُ عبد الله»، «تُناول أمةُ الله»، «يُعربن عبد الله»، «يُكلّل عبد الله»...

قديمًا، كانت الرعايا صغيرة جدًّا، وكان الأسقف قادرًا على خدمتها لوحده. لكن عندما توسّعت وازداد عدد المؤمنين، وأصبحت هناك حاجة لبناء عدّة كنائس، أصبح الأسقف بحاجة إلى مساعدة، فأخذ يوكل إلى الكهنة مهمّة إتمام الأسرار ورعاية المؤمنين إنابةً عنه. من هنا، فإنّ كهنوت الكاهن هو من كهنوت الأسقف، وما يقوم به هو بإذن الأسقف، ولا يستطيع القيام بخدمته من تلقاء نفسه. إذًا، كما أنّ كهنوت الأسقف ليس مستقلاً عن كهنوت المسيح، هكذا كهنوت الكاهن ليس مستقلًا عن كهنوت الأسقف.

لا شكّ في أنّ الأسرار يقيمها الأسقف أو مَن ينتدبه. لكنّ الرسول بطرس يخاطب المؤمنين على أنّهم «جنسٌ مختارٌ وكهنوتٌ ملوكيٌّ وأمّةٌ مقدّسة، شعبُ اقتناء» (١بط ٢: ٩). ليس المقصود أنّ كلّ مؤمن يستطيع إتمام الأسرار، إذ إنّها من مهام الأسقف، إنّما هي دعوةٌ إلى التشبّه بالربّ يسوع، الكاهن الأعظم، الذي قدّم نفسه للآب عن خطايانا، وعلينا نحن المؤمنين، بدورنا، أن نقدّم أنفسنا لله الآب، ذبيحةً روحيّة (١بط ٢: ٥). بهذه التقدمة، نخبر بفضائل «الذي دعانا من الظلمة إلى نوره العجيب، الذين لم تكونوا قبلاً شعبًا وأمّا الآن فأنتم شعب الله، الذين كنتم غير مرحومين وأمّا الآن فمرحومون» (١بط ١: ٩-١٠).

القدّيس أفرام السريانيّ

تُعيِّد كنيستنا المقدّسة في ٢٨ كانون الثاني للبار أفرام السريانيّ. وُلِدَ القدّيس أفرام أوائل القرن الرابع في ناحية نصّيبين (شمال شرق سوريا). كان والداه متواضِعَي الحال، وتختلف المصادر التاريخيّة فيما إذا كانا ينتميان إلى المسيحيّة أو إلى إحدى الديانات الوثنيّة السائدة آنذاك. أغلب الظنّ أنّهما كانا مسيحيَّين لأنّ المؤكَّد أنّهما أوكلا أفرام صغيرًا إلى يعقوب أسقف نصّيبين (١٣ كانون الثاني) الذي حضنه أبويًّا وغرس فيه حبّ التعاليم الإلهيّة والتوق إلى الفضائل.

إقتبل المعموديّة المقدّسة في سنّ الثامنة عشرة، ثمّ انطلق إلى

الإنجيل

(لوقا ١٨: ٣٥-٤٣)

في ذلك الزمان فيما يسوعُ بالقربِ من أريحا كان أعمى جالساً على الطريق يستعطي* فلمَّا سمع الجمعَ مجتازاً سأل ما هذا* فأُخبِر بأنَّ يسوعَ الناصريَّ عابرٌ* فصرخ قائلًا يا يسوع ابنَ داود ارحمني* فزجرهُ المتقدّمون ليسكتَ فازداد صراخاً يا ابنَ داود ارحمني* فوقف يسوع وأمَرَ أن يُقدَّمَ إليهِ* فلمَّا قرُب سألهُ ماذا تريد أن أصنع لك. فقال يا ربُّ أن أُبصِر* فقال له يسوع أَبصِر. إيمانك قد خلَّصك* وفي الحال أبصَرَ وتبعَهُ وهو يمجّد الله. وجميع الشعب إذ رأوا سبَّحوا الله.

تأمل

«يا يسوع ابن داود ارحمني».

ليس باستطاعة أيّ جهدٍ أرضيٍّ أن يُطهّر النفس من الخطيئة التي غرقت فيها والتي لا يسعها من بعدُ أن ترى بوضوح، بل وحده ظهور المسيح يمكن أن يطهّر

النفس والجسد. وعليه، فلْنتخلَّ عن كلّ اهتمامٍ يتعلّق بهذه الحياة، ولننشغل بالربّ ملتمسين إيّاه ليلًا ونهاراً. ثمّة إنسانٌ نبيهٌ إذ أراد الاعتناء بنفسه، بذل الجهد لاختبار كلّ ما في هذا العالم، ليرى ما إذا كان سيجني منه فائدة. فمضى قاصداً الملوك، والسلاطين، وأولياء الشأن؛ ولكن من دون الحصول على ما يشفي نفسه ويخلّصها. تردّد عليهم زماناً طويلًا، بلا فائدة. ذهب عندئذٍ إلى حكماء هذا العالم وإلى الخطباء، وبالطريقة نفسها تركهم جميعاً من دون الحصول على أيّ ربح. توجّه آنذاك نحو الرسّامين، نحو المنقّبين عن الذهب والفضة، نحو الحِرفيّين كافّة، من دون أن يجد لديهم أكثر (من سواهم) شفاء جراحه الخاصة. أخيراً، تركهم والتفت نحو الله، الذي يشفي آلام النفس وأمراضها. وعندما رجع إلى نفسه وتأمّل في ذلك كلّه، تبيّن أنّ ذهنه كان لا يزال شارداً وسط تلك الأشياء التي تركها هو خارجاً، بعد أن شرع يكرهها... في الواقع، لا توجد قرابةٌ أكثر نفعاً من جرود نصّيبين ليتنسّك، مجاهدًا في التوبة واقتناء الفضائل والإمتلاء ممّا لله. بقي على هذه الحال حتّى احتلال الفُرس لنصّيبين، سنة ٣٦٣، فرحل إلى الرّها حيث أمضى بقيّة حياته.

لمع نجمه في الرّها، حيث صار أبًا لمئات الرهبان والنسّاك. أسّس أيضًا، بجوار الرّها، ديرًا كبيرًا للرهبان، ومدرسة لاهوتيّة اشتهرت سريعًا. إبّان مجاعة قاسية حلّت بالرّها، برز البارّ مثالاً حيًّا لتعاليم الإنجيل: تولّى بنفسه جمع القمح وما تيسّر من أغذية، وتوزيعها على الجائعين، وأقام مستشفى لاحتضان المرضى والمصابين وتعزيتهم بالخدمة والكلمة. عكف في الوقت عينه على الوعظ والحثّ على معاضدة المسكين والمحتاج. يأتينا ما نعرفه عن البار أفرام ممّا قاله فيه القدّيسون يعقوب النصّيبينيّ وباسيليوس الكبير وغريغوريوس النيصصيّ، وسمعان المترجم كاتب سيرته، وخصوصًا ممّا بَقي لنا من مؤلّفاته. لا بدّ من الإشارة إلى أنّه هو مؤلّف الدعاء الخشوعيّ «أيّها الربّ وسيّد حياتي...» الذي نردّده خلال الصوم الأربعينيّ المقدّس.

أنعم الله عليه بمواهب مُتَعَدّدة. كان واعظًا فصيحًا مشتعلًا بالكلمة الإلهيّة، نافذًا إلى أعمق معانيها. فَسَّر كلّ أسفار الكتاب المقدّس بتدقيق، من خلال مفاهيم واضحة وأسلوب سهل وقويّ ورصين. مال في تفاسيره إلى الإلتزام بالنصّ الكتابيّ بدقّة، وإلى التحفّظ في استعمال الصّوَر والتشابيه الذي كان سائدًا بين المفسّرين الأنطاكيّين. وضع تفاسيره الكتابيّة أساسًا كمادّة تعليميّة لمدرسة الرّها، التي أسّسها وكان أبرز معلّميها.

إلى جانب التفاسير الكتابيّة، تعمَّق في دراسة عقائد الإيمان وتفسيرها، فأبدَع في تقصّي الهرطقات والتعاليم المضِلّة المتفشّية آنذاك وتفنيدها ودحضها، لا سيّما ما يختصّ بطبيعتَي المسيح الإلهيّة والإنسانيّة وبالمساواة بين الآب والإبن في الجوهر وبألوهيّة الروح القدس وقيامة الجسد البشريّ وغيرها. يقول القدّيس غريغوريوس النيصصيّ إنّ البار أفرام «لم يغلب الضلالات القائمة وحسب، بل استبق أيضًا كلّ ما يمكن أن يحوكه الشيطان من هرطقات لاحقة بفضل رؤياه النبويّة، الظاهرة في كتاباته النثريّة والشعريّة».

شِعريًّا أيضًا، برزت لدى قدّيسنا موهبة قلّ نظيرها. قيل إنّه كتب ثلاثة ملايين بيت شِعريّ، لم يبقَ لنا منها إلاّ القليل. كتب الكثير من عظاته شعرًا منظومًا ونشائد، متناولاً مواضيع متنوّعة كالتوبة والدينونة والفردوس والإيمان وأسرار مخلّصنا الإلهيّة وبعض الأعياد الكنسيّة.

لا يمكننا وضع عنوان محدّد لروحانيّة القدّيس أفرام، لكنّ المؤكّد أنّ أكثر ما استحوذ على فكره هو صورة الدينونة التي لم تبارحه لحظةً. كانت كلّ آيات الدينونة مشاهد حيّة: المجرى الناريّ متدفّق والسماء ملتفّة على نفسها (رؤ ٦: ١٢–١٤)؛ السيّد يأتي مع السّحاب لإبادة الأشرار من الأرض (إش ١٣: ٥٩)؛ الأرض والسماء هاربتان من وجهه (رؤ ٢٠: ١١)؛ والكتب المفتوحة أمام أهل القضاء (دا ٧: ٩–١٠). قال إنّ

الديّان الذي لا يحابي الوجوه سيسأل كلاً منّا عن الإيمان الذي حفظه، وعن عهود معموديّته حين تنكّر للشيطان وتعاليمه وكلّ أتباعه، وسجد للمسيح ربًّا وإلهًا ومخلّصًا. سيُسأل كلٌّ منّا عمّا قاله في حياته اعترافًا بالمسيح أو نكرانًا، إذ كلام الإنسان يدينه (مت ١٢: ٣٧). سوف نُسأل أيضًا عمّا فعلناه، أو تهاونّا فيه أو توانينا عن فعله: «الرعاة عن الخراف الناطقة التي تسلّموها، الكهنة والشمامسة عن أعمال كنيستهم، المؤمن عن بيته وامرأته وأولاده، الأغنياء عن الفقراء، الكبار عن الصغار ...». إذًا، كلّنا سوف نقف أمام كرسيّ المسيح (رو ١٤: ١٠). كان القدّيس يردّد دومًا: «ثقوا حقًّا بكلام الربّ». يسبّب الاستهتارُ بآيات الكتاب المُقدّس أفظع الويلات، والمزدرون بالوصايا المكتوبة سيدانون على توانيهم عن الخلاص، وعلى تضليلهم الآخرين بالفكر الدنيويّ المفسد: «أنا أميت وأحيي. سَحقتُ، وإني أشفي، وليس من يدي مُخَلِّصٌ، يقول الربّ» (تث ٣٢: ٣٩).

نرى القدّيس أفرام، الذي أُعطي أن يُعاين الدينونة الرهيبة، يشدّد على ألاّ ييأس أحدٌ من الخلاص: «إن خطئنا ألف مرّة، فلنتب ألف مرّة»، ذلك أنّ الربّ نفسه وعد بألاّ يُخرج خارجًا من يأتي إليه (يو ٦: ٣٧). المسيح وحده هو الراحة للمتعَبين، والعزاء للمحزونين، والفرح للباكين، والكرامة للمرذولين. أي إنّ المثقَلين بأحمال الخطيئة يتحرّرون إن رموها أمام السيّد. يستشهد البار أفرام بأمثلة من الكتاب المقدّس كالمجوس الذين أقبلوا إلى السيّد فانتقلوا من الشعوذة إلى عبادة الإله الحقّ، والعشّارين الذين صاروا أتباعًا له، والزناة الذين تطهّروا فتزيّنوا بالعفاف، والمجرم الذي آمن فصار ساكنًا الفردوس فورًا. يقول القدّيس إنّ كلّ خطايانا وآثامنا لا تقاس بشيء من رأفة السيّد ورحمته ومحبّته وطول أناته غير المحدودة، وهو الطبيب الشافي شرط أن نأتي إليه طالبين الشفاء. لذلك، يكرّر القدّيس، في تعليمه، أنّ التوبة الحقيقيّة ليست مجرّد تعبير عن ندم أو ردّة فعل محدّدة في وقت أو ظَرف، بل هي حالة دائمة، ومنهج حياة، ركائزُه استبدال الخجل والتهاون بالصبر والاتّضاع والمثابرة، والتيقّظ إزاء حيَل الشرير التي هي سلاحه الوحيد. حينئذٍ نخلص حتمًا، إذ إنّ إلهنا صادق في وعوده، ومُحبّ ورحوم ورؤوف، ولا يرذل منسحقي القلوب.

عيد دخول السيد إلى الهيكل

بمناسبة عيد دخول السيد إلى الهيكل تقام خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الجمعة ١ شباط وخدمة القداس الإلهي عند العاشرة من صباح السبت ٢ شباط في كنيسة دير دخول السيدة إلى الهيكل في الأشرفية.

للإطلاع على أخبار الأبرشية:

www.facebook.com/metbei

أو

www.quartos.org.lb

تلك التي تجمع النفس مع الله والله مع النفس... أمّا أنت، فبدلاً من رجوعك إلى قرابتك السماوية، التي ليست سوى الرب، تستسلم لأفكار الخبث وتوافق عليها، فتصير نصيراً للخطيئة، وبمعونتها تحارب نفسك بنفسك. هكذا تجعل من نفسك فريسةً للعدو، الذي سيلتهمك كما يلتهم النسر عصفوراً، والذئب خروفاً، أو كالطفل الذي يمدّ يده بجهله نحو أفعى فيموت من نهشتها. الحال أن لا الحكماء مع كلّ حكمتهم، ولا العقلاء مع كلّ فطنتهم، استطاعوا أن يدركوا دقّة النفس، ولا أن يقولوا ما هي. وحدهم، استطاعوا القيام بذلك، أولئك الذين ألهمهم الروح القدس الفهم، والذين أُعطيت لهم معرفة النفس بإحكام. إذاً، لا نكن متهاونين يا أولادي، ولا نُبطئنّ في الاندفاع نحو الحياة الأبدية في الاستسلام تماماً لمبتغى الرب. هكذا ننتقل تدريجياً من الطفولة إلى الكمال في المسيح، بفضل معونة الروح القدس الإلهي.

القديس مكاريوس الكبير